

## نصوص كردية

### قصة

## الطيور العارية

كتابة: عبدالوهاب طالباني

الأرتعاشات السكرى لذلك المساء الموصلى ، كانت تلبس شاطئ دجلة لباسا رماديا ، وكان النهر متلغفا بلون الحزن ، احس في داخله كأنه يرى مياه النهر تتباطأ في جريانه السرمدى .. كأنه تريد العودة على اعقابها .. الى المنابع حيث جبال القهر تنوء بتقلها على عالم مسكون بظلم ، يبدو انه ازلي .

اعاد قراءة الورقة التي سلمت اليه صباح ذلك اليوم ، التفت حواليه ، كأنه يبحث عن شئ يفقده ، وقد امتنع وجهه الذي حفرت فيه الأيام اخاديد عميقة ، وحولت شعره الى بقايا غابة محروقة ..

غرق في غمامة من الأسى ، بعد ان ينس ان يرى شيئا له معنى ، وهو الذي تحول الى اسفنجة تمتص كل هذه المحن التي تنهال عليه دون توقف .

ما زال الطعم الصديدي للأيام التي اجتمعت فيها غريان العالم على اهله في فمه ، ما زالت جروح المنفى الأجياري لم تلتئم عندما اضطر الى الهرب من طاعون الموت الذي شاع في في البلاد ، والحرائق التي انت على الحقول والبساتين والقرى والمدن . والبشر .

كان شراع الشمس الغاربة ، يتعد في الأفق البعيد ، صادحا بنغمات الأصائل التي تضوع انفاس البيوت الحجرية ، ووشوشات الغابات النائمة فوق ركام التواريخ الغابرة .

انها المدينة التي سكنها بعد ما عاد الى الوطن مع اسراب الطيور المهجرة ، وبعد ان رأى خرائب قريته الجبلية التي سويت بالأرض ، اضطر ان ينتقل الى المدينة و يعمل في كثير من المجالات التي لم يكن يعتقد بأنه سيعمل فيها فالأرض بالنسبة اليه كانت كل شئ ، ولكنه عمل حمالا ، منظفا ، عامل مقهى ، عامل بناء ، وقضى اياما مريرة دون عمل ، ولم تكن حياة المدينة تعجبه ، لذلك ظل مشدودا الى ملاعب صباه في تلك القرية النائمة على كتف الجبل ..

كان يعد الأيام عسى ان تنشق عن فرصة تعيده اليها ، فيمرح في حقول السنابل التي تختزن الغيوم والأمطار وحيات الفمخ ، فكر في حينه ان يلتحق بالثورار مرة اخرى ، ولكنه سمع انهم انقسموا فيما بينهم ، وانهم يكتبون قصة قابيل وهابيل باللغة الكردية ..

تحسس الورقة المشؤومة في جيبه ، اخرجها ، حرق فيها ، كل حرف فيها بالنسبة اليه كان بمثابة ثعبان سام يريد ان يلدغ روحه التعبى . انهم يأمرونه بأنه سيرحل الى الجنوب ولن يستطيع ان يأخذ شيئا معه .

يبدو ان فصول التشرد والنفي لم تنته بعد ، ، الترحيل القسري اصبح قانون الحياة في هذه البقاع ، انهم اقتلعوه من ارضه قبل سنين والان يريدون طرده حتى من المدينة التي لم يختار العيش فيها .

"من يقول انهم سيسمحون لي بالاستقرار مرة اخرى في تلك المدينة الجنوبية البعيدة ، الم يأخذوا الكثيرين من اقاربي الى تلك الأصقاع ، ليختفوا هناك ، وكان الأرض ابتلتهم ، قيل الكثير عن مصائرهم ، فقد قيل انهم قتلوا ودفنوا احياء ، وثمة فتيات عرضن في سوق نخاسة حاكم بغداد وتم بيعهن الى سلاطين الصحراء" .

انه يتحسس الورقة اللعينة .. اهي ورقة ام جمرة نار تحرق اصابعه ..؟

اخذ يصعد المرتفع ، حيث جامع النبي يوسف ، التقى بعض معارفه وهم يهيمون على وجوههم ، كانوا كطيور قصت اجنحتها وبتقت ريشها ، تمشي على الأرض عارية من ريشها المسروق .

اخذ الظلام يلف المدينة ، وقباب الجامع القديم بدأت تنبيه وسط حلقة الليل الأتني مع كابوس السهد الذي تحاول عناقيد النجوم المعلقة فوق اسوار نينوى العتيقة ازاحتها دون جدوى .

وعندما نهض ليعود الى بيته ، كان الليل قد انتصف ، احمال ثقيلة كانت تجثم على صدره ، وتهز عقله .

"أقتلع مرة اخرى؟ طيب قبل ان ينفذوا طردهم لي من المدينة سأرجع الى قريتي واحاول ان ارتب حياتي هناك مرة اخرى .." واستدرك : " ولكن كيف ، انهم سيقتلونني في اليوم الأول لوصولي هناك .."

راى ان كل المسالك قد سدت امامه .. لا حل .

انتابته حالة غثيان ، وتغيرت اشكال الأشياء امامه ..  
اخرج الورقة من جيبه ، مزقها ، ورماها على اسفلت الشارع ، واخذ يسرع في خطواته .. وهو يدمدم مع نفسه:  
" ولكن .."  
عندما وصل مسكنه ، كانت زوجته واطفاله نياما .. ايقظهم بسرعة ، كان شيئاً ما قد حسم في عقله .  
دفع اطفاله وزوجته الى خارج البيت واخذ يحمل اغراضه القليلة ويرميها خارج البيت ، وهو يصرخ:  
" ان ادعهم يأخذون حتى عود ثقاب .."  
واسيقظ اهالي الحي ليروا "شيردل" يصب البنزين على اثاث بيته القليل ، الذي بدأ يحترق ..  
"اننا نحترق منذ الأزل ، كلهم تناوبوا على حرقنا"  
كان يزمجر ، وليل الموصل يردد صداه في الحارات والأزقة القريبة ..  
"شيردل" كان يكتب احد فصول حكايا النار التي تملأ ذاكرة كردستان . تعلقت زوجته بكتفه ، وهي تبكي صامتة ،  
والطفلتان الصغيرتان تحتيمان بذيل ثوب امهما ..  
من بين ركام الحرائق ، طير الهواء رسالة لم تكتمل بعد ، كانت متخنة بالحروق ، وقاموسا كرديا كان مفتوحا على  
ظهره تتصفحه الشرارات ، الناس الذين كانوا يطلون على هذا المنظر الحرائقي من شبابيك بيوتهم كانوا مرعوبين ،  
الا "شيردل" الذي يبدو انه يفهم لغة الحرائق ، تجمع بعض رجال الحي حاولوا اطفاء النيران ، لكن "شيردل" كان  
يحاول ابعادهم ، كان يصول ويجول ويحمم كجواد بري شاردا صعب القيادة ..  
حاولت احدى صغيراته انقاذ احدى لعبها ، لكن النار لسعت اصابعها الصغيرة فتخلصت منها بأن رمتها في النار  
المضطربة ..  
فاحت رائحة الهشيم لتحرك حاسة الشم لدى ذئاب الليل ، وفي اقل من ساعة كانوا في مسرح "شيردل" ليحاصروه  
بغاية من الفوهات السود .  
حقق "شيردل" في الوجوه الجامدة .. وتأوه زفيرا لفح وجه الليل .  
" اه ، كم اصبح الجبل بعيدا ..؟! "  
في اليوم الثاني ، وقبل ان ينبلج الصباح ، سمع اهل الحي اصوات اطلاقات من الرصاص ، رأوا "شيردل" وزوجته  
والطفلتين مكومون ، كطيور مذبوحة على الشارع امام بيوتهم .  
وشهد اهل الحي اوباشا يغادرون مسرح جريمتهم في سياراتهم المعروفة .

---

دمشق- تشرين الأول 1995